

(1519 م - 1850 م)

Title of the article (English), Times New Roman, Size 12, Bold, Interline 1 Social manifestations of Algerian society during the Ottoman period and the beginning of the occupation through writings western 1519-1850

د. محمد سريج

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة حسبية بن بوعلي الشلف - الجزائر، m.seridj@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2021/10/05 تاريخ القبول: 2022./03/17 تاريخ النشر: 2022/05/01

ملخص:

عرف المجتمع الجزائري بعدة مظاهر اجتماعية تميزه عن المجتمعات الغربية أو الأجنبية (غير الإسلامية) سواء ما تعلق بالاحتفالات الدينية أو العادات والتقاليد التي دأب عليها على مر التاريخ، ومن الفترات التاريخية التي أخصها بالذكر هي الفترة العثمانية و بداية الاحتلال، أي من 1519 بداية الوجود العثماني في الجزائر إلى 1850 الثلاثين سنة الأولى للاحتلال الفرنسي، إذ تناقل الرحالة والعلماء والأدباء الغربيون الكثير من المظاهر ذات الطابع الاجتماعي كالاحتفالات بالأعياد الدينية منها: عيد الفطر وشهر رمضان وعيد الأضحى والختان وبعض العادات المتعلقة بالأكل والملبس ووصف أخلاق الجزائريين ومعاملاتهم إزاء بعضهم البعض أو الأجانب ومن هؤلاء نجد: هابنسترايت J.E.Hebenstreit و مورييس فاغندر Maurice waner و فيلهلم شيمبر Shmbr Wilhelm و كليمانس لامبينغ Lampingue Clémence و وليام شالر William Schaller و ماثيو كيري Mathew Carey و جيمس كونكارت James Knockaert و هينريش فون مالتسان Heinrich Von Maltzan وغيرهم...

الكلمات المفتاحية (7 كلمات): المجتمع الجزائري، مظاهر، الاحتفالات، العادات، الرحالة الأجانب

Abstract :

Algerian society has known several social aspects that distinguish it from Western or foreign (non-Islamic) societies, whether related to religious ceremonies or customs and traditions that have been practiced throughout history, and from the historical periods i.e. the Ottoman period and the beginning of the occupation, i.e. 1519 The beginning of the Ottoman presence in Algeria to 1850 the first thirty years of the French occupation, where western travelers, scholars and writers passed on many aspects of a social nature such as celebrations of religious holidays such as: Eid al-Fitr, Ramadan, Eid al-Adha, circumcision and some customs Related to eating and clothing and describing the morals of Algerians and their dealings with each other or foreigners, including: Habinstreit J.E.Hebenstreit, Maurice Waner, Wilhelm Shmbr, Clements Lampingue Clémence, William Schaller William Schaller and Matthew Kerry. Mathew Carey, James Concart, Knockaert James, Heinrich von Maltzan and others....

Keywords: Algerian society, manifestations, celebrations, customs, foreign travelers

(مقدمة):

الجزائر بشساعة مساحتها وتنوع تركيبها السكانية في الريف و المدينة من و أتراك و كراغلة (خوجة، المرأة، 2006، صفحة 62) و عرب و أمازيغ و يهود ، هؤلاء و بحكم اختلاف أعراقهم و حتى اختلاف في الديانة (المسلمين و اليهود) ، هذا الاختلاف ظاهرة صحية أكثر منه شيئا آخر ، إذ اكتسبت الحياة الاجتماعية العديد من المظاهر سواء ما تعلق بالمناسبات الدينية من الاحتفالات بشهر رمضان و عيدي الأضحى و الفطر و الختان و غيرها ، كما تزخر أيضا بعبادات منها الخاصة بالزواج و ما يختص باللباس و الأكل و السلوكات اليومية للجنسين رجالا و نساء ، كل هذه المظاهر كانت محل اهتمام خاص من قبل الرحالين الأوربيين من قناصل و دبلوماسيين و الأسرى ، يضاف إليهم بعض من الجزائريين ، هؤلاء الذين نقلوا ما رأوه و ما عايشوه طيلة الفترة التي قضاها في الجزائر في الفترة العثمانية و بداية الاحتلال الفرنسي ، و عليه فالإشكالية التي نود الإجابة عنها هي : ما هي المظاهر الاجتماعية للجزائريين في الفترة العثمانية و بداية الاحتلال من خلال المصادر ؟

01 - الاحتفال بالمناسبات الدينية :

المجتمع الجزائري في غالبته العظمى يدين بالإسلام بما فيهم العنصر التركي الذي وفد إلى الجزائر عام 1519 و ما نتج عنه من ظهور العنصر الكرغلي ، هذه الديانة الحافلة بالمناسبات يحيوها المسلمون قاطبة بحيث يصفون عليها الطابع الديني لما في ذلك من أواصر المحبة و التضامن و التعبير عن أن يجمعهم دين واحد و يعملون لأجل الحفاظ عليه من اندثار بعض مظاهره و من المظاهر التي دأب الجزائريون و غيرهم على إحيائها نجد :

أ - شهر رمضان :

يعدّ شهر رمضان من الأشهر التي ينتظرها المسلمون بشكل عام و الجزائريون جزء منهم كل سنة ، و هو فريضة على المسلمين لقوله تعالى : " أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ، بحيث و إلى جانب أنه شهر عبادة من صوم و أعمال خير هناك مظاهر يقوم الجزائريون على مختلف الفئات التي تدن به ، و هو ما أثار اهتمام بعض الرحالة منهم ج . أو . هابنسترايت J.E.Hebenstreit (سبوعي، 2019، صفحة 253 - 255) يقول : " لقد صادفت و إن وصلت إلى الجزائر في الفترة التي تسبق الصيام و لاحظت أن المسلمين يمتنعون ع

ن الأكل و الشرب أثناء اليوم طيلة الشهر و حتى ظهور قمر الشهر التالي ، و هذا الصوم ليس منهكا سوى للطبقة الدنيا و هي جماعة البرانية *هم جماعة البساكرة و بني ميزاب و الجيجليون و غيرهم ممن يأتي من منطقة القبائل للشغل في المدن و منها الجزائر الذين يقومون بالأشغال الشاقة ، بينما من هم أرفع منهم مكانة و هم الحضر يتجنبون هذا الإجهاد و يهينون في الليل ما يقومون بعمله في النهار ، و مع نهاية شهر رمضان و رؤية هلال العيد ينقل الخبر على جناح السرعة إلى الداي ليأمر بإطلاق المدافع إعلانا بانتهاء شهر رمضان. (هابنسترايت، 2013، صفحة 49)

كلام الرحالة هابنسترايت فيه الكثير من الصواب لما يتحدث عن الامتناع عن الأكل و الشرب و غيرها من مظاهر الصوم و لم يتحدث عن الامتناع عن الشهوات المعنوية و كأن رمضان إلا للشرب و الأكل ، ضف إلى ذلك قوله عن طائفة البرانية أنهم يهكون في رمضان بحكم الأشغال الشاقة ربما صادف رمضان وجوده في الجزائر في شهر جوان 1732 و هو شهر بداية الصيف حارا في معظمه ، و ربما البعض يهكون و لكن ليسوا كلهم لان هناك من يمتلك العزيمة و الإرادة و القوة لصوم رمضان و لنا في شهادات الأجداد أنهم كانوا يصومون رمضان في أوقات الحصاد و الدرس .

من جهته أشار "هينريش فون مالتسان" Heinrich Von Maltzan (بوطاجين، 2013، صفحة 87 - 88) إلى شهر رمضان بقوله : "إن شهر رمضان من كل سنة هو شهر الحلويات و الضيافة و الأفراح عند الجزائريين و تقام حفلات القرقوز التركي، و كان يحضره مئات الأشخاص و يتم ذلك بعد الإفطار. (مالتسن، 1979، صفحة 63)

الجزائريون يفرحون بمرضان فرحة جماعية و فردية فهم فعلا يقومون بتحضير الحلويات و يعتبر بالنسبة إليهم ضيف قادم عليهم يمكث شهرا ثم ينقضي و هو ما دأب عليه الجزائريون بحسن إكرام الضيف ، أما موريتسفاغنر Maurice waner فقد كتب عن الاحتفال في شهر رمضان فقال : " أن طعام الصائمين في الليل الكسكس بالزيت، يضاف إليه اللحم المقلي و الفواكه، و بعد الفطور ينصرفون إلى سماع الموسيقى طيلة شهر

رمضان، و يتسلون بمشاهدة الرقص و العروض المسرحية و الهزلية المتنوعة لعروض القرقوز. (دودو، 1989، صفحة 119)

موريس فاغنز ربما شهد رمضان عند طائفة معينة من الجزائريين و هي طبقة ميسورة الحال كالحضر و الأشراف على سبيل المثال ، و أما عامة الناس في تلك الفترة بحكم الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية التي كانوا يعيشونها لم ترق إلى مستوى أنهم يأكلون اللحم المقلي كلهم و الفواكه و سماع الموسيقى و العروض المسرحية و غيرها المظاهر الدالة على الرفاهية و يسر الحال ، 90 بالمائة من الجزائريين كانوا فقراء أو متوسطي الحال و بالتالي في كثير من الأحوال يكتفون فقط بما يسد رمقهم من أكل و شرب أما الحديث عن الموسيقى و المسرح فهي بعيدة عنهم .

ب - الاحتفالات بعيدي الفطر و الأضحى :

يعرف عيد الفطر عند الأتراك العثمانيين ب "قربان بيرام"، و يقوم المسلمون على اختلاف أجناسهم بالمدينة الجزائرية بالاحتفال لهذا العيد مباشرة بعد إتمام شهر الصيام، و تتجلى أشكال الاحتفال في ارتداء المسلم الساكن بالمدينة أجمل ثيابه عكس الريفي الذي لا يأبه بالثياب الجديدة و يسمى عند الجزائريين بالعيد الصغير أي عيد الأطفال، و في هذا اليوم تقدم الهدايا للأطفال التي غالبا ما تكون في شكل نقود (مالتسن، 1979، صفحة 65)

فعلا الجزائريون أيضا مثلما يفرحون لقدم رمضان يفرحون بقدوم عيد الفطر المبارك و هو اليوم الذي يلي آخر يوم من الشهر الصيام و فيه الناس يلبسون أحلى الثياب و أنظفها خاصة في المدينة ، أما الريف و نتيجة للفقر و قلة الإمكانيات يختلفون عن غيرهم في المدن لكن الفرحة قاسم مشترك بينهم .

ينقل لنا هابنسترايت أجواء عيد الفطر بين الرعية و الحاكم إذ جرت العادة أنه في هذا اليوم يذهب الناس لإلقاء السلام و تقديم التهنئة للداي أو الباي و أو غيرهم من المسؤولين الكبار و هذا التقليد ما يزال ساريا إلى يومنا هذا ، و الحقيقة ليس كل الناس يقدمون التهنئة للداي إلا من هم في درجات المسؤولية و ليس العامة و ربما العامة القلة القليلة منهم خاصة و أن الوضع السياسي كثيرا ما كان يتميز بالاضطراب و عدم الثقة بين الفئة الحاكمة نفسها فكيف مع عامة الناس .

و ذكر أيضا "موريتسفاغنز" Maurice waner أن فرقا زنجية تجوب أحياء المدينة عازفة أنغاما موسيقية صاخبة، بواسطة الطنابير و الصفائح الحديدية، و موسيقاهم ذات إيقاع همجي و اهتزازات أجسادهم، منتظرين نقود يهديها لهم الناس، و كان هؤلاء السود هم أنفسهم الذين يوقظون الداى بمدينة الجزائر من نومه صبيحة العيد، و يعزفون موسيقاهم في قصر القصب و يرتدي المسلمون في أيام العيد أيام العثمانيين ملابس يشوبها الاهانات و المعاكسات ضد اليهود و المسيحيين الذين لا يبرحون منازلهم، و كان السكان يرهيون من رجال شرطة المدينة، فالمرح و البهجة حملت في ثناياها حذرا. (دودو، 1989، صفحة 118 - 119) الفرق الموسيقية التي تخرج يوم العيد كثيرا ما كانت بحاجة إلى المال و بالتالي من جهة تفرح الناس بقدوم العيد و من جهة ثانية تستغله في الاستفادة من بعض النقود التي يوجد بها اليسورين و عليه نجد مثل هكذا مظاهر في المدن الكبرى بشكل خاص سيما و أنه ذكر لنا القصب و هي عاصمة الداى ، كما نقل مظهر اللباس للجزائريين يوم العيد و هذا ما اعتاد عليه الجزائريون من الاهتمام باللباس سواء الألبسة الجديدة أو النظيفة و لا علاقة لهم باستفزاز اليهود و المسيحيين لان الأمر يتعلق بإحياء مناسبة دينية و ليس بشيء آخر فالرحالة موريس فاغنز يبدو أنه جانب الصواب بقوله : " يرتدي المسلمون في أيام العيد أيام العثمانيين ملابس يشوبها الاهانات و المعاكسات ضد اليهود و المسيحيين الذين لا يبرحون منازلهم " . هذا كلام لا يعتد به لان كلمة إهانة هنا يقصد بها استفزاز الدخلاء ، و هذا غير صحيح بحكم أن الجزائريين لم يمنعوا الدخلاء من اليهود و النصرى من ارتداء أجمل الثياب و الأمر يتعلق باحتفال ليس إلا .

من العادات التي نقلها لنا العالم الألماني هابنسترايت انه بمناسبة يوم عيد الفطر جرت العادة في صبيحة اليوم الأول من عيد الفطر أن يذهب الناس إلى إلقاء السلام و تقديم التهنئة إلى الأفندي الأكبر أو الداى ، بالإضافة إلى بعض الممارسات الرياضية منها القيام بمبارزة رسمية اعتاد عليها الأتراك القيام بها بين بعضهم البعض فيغطي المكان المخصص لهذه التمارين بالرمل و يتقدم إليها المتصارعون عراة إلا من سراويل قصيرة جدا من الجلد المدهون بالزيت مثل أجسادهم لتكون ملساء و بعد الصلاة يتبارى المتصارعون واحدا بعد الآخر و يقومون حسبما جرت العادة بحركات تؤهلهم للفوز بالجائزة فالذي يطرح خصمه على الظهر يعتبر منتصرا ، و عندما لا تحسم المباراة تؤول إلى آخر أيام العيد لاستئناف المصارعة من جديد و تكون مصحوبة كما في اليوم الأول بأنغام موسيقى

الانكشارية و بجانب هذه المصارعة يتسلى الشعب أيام العيد بكل أنواع الألعاب التي ليس فيها ما يثير الانتباه . (هابنسترايت، 2013، صفحة 49)

لم يختلف هابنسترايت عن سابقه في أن عادات الاحتفال تكون أيضا بتقديم التهاني للداي أو المسؤولين الكبار في الحكومة التركية و تتبع بالألعاب محدودة كان يقوم بها بعض الجزائريين أيام العثمانيين يوم الاحتفال بعيد الفطر المبارك و هي المصارعة و الألعاب الرياضية التي تعبر عن جو من الفرح و تغيير الأجواء في جو موسيقى يشد الحاضرين و هذا السلوك لم يكن لدى كل الجزائريين و لكن لدى البعض ممن يجيدون هذه الرياضة و نجدها خاصة في العواصم الكبرى للمملكة .

عن تجاوب و تنظيم نظام الداى مع الاحتفال بالعيدين الإسلاميين عيد الفطر و عيد الأضحى خلال كل سنة ،كتب وليام شالر : "...و عيد الفطر...مثل عيد الأضحى ...مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية و يطلق المسلمون فيها العنان للفرح و السرور و في هذه المناسبة تجري ألعاب شعبية و تصفف موائد الطعام في القصر و في كل مكان... وليام شالر (شالر، 1982، صفحة 67) و اقتضت بروتوكولات نظام الداى أن توجه الدعوة إلى قناصل الدول الصديقة و المستقلة و كذا رئيس الطائفة اليهودية بالجزائر للمشاركة في الاحتفالات في وسط الجماهير من أجل تقديم تحياتهم و تهانئهم إلى الداى بمصافحة يده و الانحناء أمامه. تقديم الوفد القنصلي للدول الصديقة التهاني للداى يدل على مدى حرص هؤلاء على تمتين العلاقات السياسية و الدبلوماسية بين الجزائر و هاته الدول و اقتضت الأعراف الدبلوماسية السير على هذا النهج من باب احترام الدول التي يقيمون بها ، كما أن حضور الطائفة اليهودية دليل آخر عن التسامح الديني و الحرية الدينية التي كان يتمتع بها اليهود أو غيرهم من الديانات الأخرى كالمسيحيين . (شالر، 1982، صفحة 67)

وليام سبنسر " William Spencer يتحدث عن عيد الأضحى الذي يدعوه الأتراك العثمانيون بعيد القربان "بيرامي"، و ذكر : " أن الاحتفال بعيد الأضحى يتم بدءا من إطلاق نيران البنادق بكثرة، عند بزوغ الفجر، ولما تقام صلاة العيد تفتح أبواب قصر الداى على مصراعها للعمامة و يقدم الكسكس المطبوخ لكل الحاضرين، ثم يستعد الداى لاستقبال تهاني و هدايا أعضاء حكومته و ممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين في مدينة الجزائر، ثم يقود وجهاء المدينة و أوجاقها و سكانها إلى جامع الحواتين، حيث يقع ذبح الأضحية تحت وقع طلقات البنادق و موسيقى الفرقة العسكرية. (سبنسر، 1980، صفحة 118 - 119)

عادات و سلوكيات المجتمع الجزائري حكومة و رعية في عيد الأضحى لا تختلف كثيرا عما هو معمول به في عيد الفطر ما عدا السنة المؤكدة التي يجب عليهم القيام بهم و هي ذبح الأضحية هذا هو وجه الاختلاف أما الباقي فكلها لا تخرج عن نطاق الأفراح من طلقات البارود و تقديم التهاني للداى و غيره و أيضا طبخ الكسكسي و بعض المأكولات التي تتناسب و أهمية اليوم ، كما أن هناك فوارق بسيطة في الطبخ إذ كثيرا ما اعتاد الجزائريون على تحضير الحلويات في عيد الفطر أما في عيد الأضحى فاهتمامهم أكثر بالطبخ المناسب و الأضحية

ما لم يذكره الرحالة الغربيون كلهم أن الجزائريين معروف عليهم أنهم يذهبون لزيارة موتاهم في المقابر و هي أيام معروفة لدى العام و الخاص خاصة النساء اللواتي اعتدن أن يذهبن للمقابر للترحم على موتاهم و موتى المسلمين مغتربين وقت ذهاب الرجال إلى المساجد لأداء صلاتي العيدين .

ج - الاحتفال بالختان :

وصف الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته حفل ختان ولدي مصطفى باشا سنة 1797 م و هما : إبراهيم و أخيه ، و قد صنع مهرجانا كبيرا لم يصنع مثله من قبل أو من بعد ، حيث نظم مهرجانا كبيرا استقدم البايات و الأعيان و الفقهاء و الطلبة و دعي جميع السكان فضغف عدد الطبّاخين و رثبوا في كل ليلة من أنواع الملاهي على اختلاف أنواعها و احتفلوا أيضا في نفايس الأطعمة و الإكثار منها ، و أطعم الناس ثلاث مرات في كل يوم و القهوة في كل وقت و ضربت المدافع من جميع الحصون و أصحاب الخيل يتسابقون و البلهوانات يلعبون ألعابهم ، و استمرت الوليمة سبعة أيام و في اليوم الأخير وزعت الصدقات على المحتاجين من الطلبة و أمر بختان أولاد الفقراء و منح كل واحد منهم بعضا من النقود و استمر الختان شهرا و قضى دين المدينين و أطلق سراح المساجين و بقي إلا من لا

يجبى الشرع خروجه كالمقاتل للنفس و أخيرا أزجله الشعراء بالمديح بقصائد كثيرة و أحسن لكل واحد منهم. (الزهار، 1980، صفحة 82 - 83)

ما قاله " الشريف الزهار " في هذا الشأن يدل على شيئين اثنين : أحدهما محمود و آخر مذموم ، فأما الم محمود فهو إحياء هذه العادة التي دأب عليها أجدادنا من القدم و في يجتمع الناس و يتعارفون و يقدمون التهاني و المشاركة في فرحة الصبيان مع ما يمنح فيه من مال للفقراء و المساكين و الأمر بختان أبناء الفقراء المعوزين و هذا تضامن و تكافل اجتماعي حث عنه الإسلام مصداقا لقوله تعالى : " إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفه قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله و الله عليم حكيم ". (القرآن الكريم، التوبة: 60).

، أما ما أعتبره مذموما فهو ما تعلق بالبذخ و التبذير و صرف المال العام أو حتى و إن كان من ماله الخاص فلا يجبى الشرع الحنيف التبذير لقوله تعالى : " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين و كان الشيطان لربه كفوراً " (القرآن الكريم، الإسراء: 27). ما نقله الزهار أن الاحتفال يبقى لأيام و المدعوون يأكلون و يشربون و يلهون و غيرها و هذا مكلف جدا بل و أراه مخالفا للشريعة الاسلامية لان الله لا يحب المبذرين و المسرفين لقوله تعالى : " و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " (قرآن كريم ، الأعراف 31)

02 - تدين المجتمع الجزائري :

من المظاهر التي وقف عليها الرحالة الغربيون أيضا هي إشداتهم بالكثير من السلوكات التي يتحلّى بها الجزائريون و الدالة على مدى تعلقهم بالدين الإسلامي الذي يعتبر الدين الذي اعتنقه عن بكرة أبيهم منذ أن دخل إلى بلاد المغرب الإسلامي سنة 680 م و مما وقف عليه الرحالة الألماني " هابنسترايت الذي أشاد باتباع الجزائريين لمحمد (صلى الله عليه و سلم) الغيورين و نقل لنا أنهم يستهجنون المنتسبين لعلي (ض) و يقومون في الغالب بالحج إلى مكة المكرمة و بعد أداء هذه الفريضة يرتدون الملابس الخضراء التي تنسب إلى الرسول ص و هو اللباس الذي يميز الأشراف *طائفة الأشراف بمدينة الجزائر ظلت محافظة على خصوصيتها و مهتزة بأصولها لها أمين يرعى شؤونها يعرف بنقيب الأشراف و لها زاوية خاصة بها أوقاف تنتفع بريعتها قدر مدخولها سنة 1830 بـ 5000 فرنك و كان آخر نقيب لهذه الطائفة هو احمد الشريف الزهار صاحب التقاليد التاريخية عن أحوال الجزائر . (الزهار، 1980، صفحة 47)

وأشاد" فاغر" Maurice waner هو الآخر بخصال الجزائريين و أخلاقهم ، فقال عن تدينهم : ليس هناك مسلم راشد لا يسرع إلى تلبية نداء الصلاة ، فلا الشيخوخة ولا الثروة تحول بينه وبين المضي إلى بيت الله ، وكانت المساجد ، وعددها آنذاك تسعة و ثلاثون ، دائما مكتظة بالمصلين ، كما ذكر أن الجزائريين يتشددون في المحافظة على صيامهم . (دودو، 1989، صفحة 115 - 116)

الرحالة الألماني أصاب في حكمه على أن الجزائريين يحبون دينهم الإسلامي و إتباعهم سنة نبيهم محمد صلى الله عليه و سلم مصداقا لقوله تعالى : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (القرآن الكريم، الحشر: 07) ، و إن كان هذا حكم عامة الناس إذا و أن الصلاة جزء من حياتهم اليومية مصداقا لقوله تعالى : " إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" (القرآن الكريم، النساء: 103) و يحافظون عليها بل و أن المساجد كثيرا ما تكتظ بالمصلين و هذا دليل على مدى تأصل الدين في نفوسهم مثله مثل الصيام و غيره من الأركان و الشعائر الدينية فلا المال و الكبر أو الشيخوخة يحولان دون أداء هذه الفريضة الثانية من فرائض الإسلام الخمسة .

أما عن سلوك الجزائريين بشكل عام يقول "هابنسترايت" عن الجزائريين أنهم يمتنعون عن تعاطي الخمر: " (هابنسترايت، 2013، صفحة 47) و يمتنع المسلمون الأتقياء هو ما يرشد إليه الله تعالى في قوله : " و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب" (القرآن الكريم، سورة الطلاق : الآية 2 و 3)

عن شرب الخمر ، أما الآخرون فيتعاطونه حتى يبلغ بهم السكر حد الهياج و في هذه الحالة يصل بهم الاندفاع إلى حد ارتكاب أكبر التجاوزات التي تتسبب في قتلهم في بعض الأحيان و هذا ما يحدث غالبا في أيام العيد ، من جهته ماثيو كيري Mathew Carey 1836/1760. (كيري، 2014، صفحة 5 - 6) ، يقول : " أما الخمر و المشروبات الروحية فهي في معظمها غير معروفة " يعني ليست منتشرة بشكل كبير، (كيري ، 2014، ص22) يعودون إلى شربها مع حلول عيد الفطر ، فيقبلون على تعاطي الخمر طيلة أيام العيد الثلاثة التي تطيب فيها المآكل و إن كانوا لا يجزؤون على تناوله جهارا. (هابنسترايت، 2013، صفحة 48)

الجزائريون فعلا يمتنعون عن شرب الخمر سواء في أوقات الصيام أو الأيام الأخرى و هذا امتثالا لقوله تعالى : " أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" (القرآن الكريم، المائدة: 90)، هذا لا يعني أن كلهم لا يشربون الخمر ، بل هناك فئة تتعاطى الخمر سيما بعد انتهاء شهر

الصيام أين يعود المدمن إلى عاداته و بالتالي يتسببون أحيانا في القتل و مما وصفه أيضا أنهم يقبلون عليه خفية عن أنظار الناس ، و هذه العادة كانت موجودة لان العديد من الناس لو يرى شارب الخمر جهارا ربما يتعرض إلى العقاب أو السخرية أو الاستهجان و هذا الذي يؤدي بالمدينين إلى تعاطيه سرا و للأسف اليوم ما يزال هذا السلوك قائما و الأكثر أن عامل الحياء انعدم من على وجوه الكثير منهم فيجاهر البعض منهم بشرب الخمر نهارا سواء في رمضان أو غيره و بعضهم فتحوا حانات و مقاهي خصيصا دون أدنى وازع ديني أو أخلاقي بحجة الحرية الشخصية

في هذه النقطة بالذات يشير الرحالة النمساوي " أدولف شترال " Chitral Adolf إلى ما طرأ على طبيعة الجزائريين بفعل احتكاكهم بالدخيل الأجنبي ، من ذلك أنه لا يوجد من يفوق الجزائري في تعاطيه للنبذ ، فهو لا ينقطع عن تناول الخمر إلا عندما يفقد الشرارة الأخيرة من وعيه (دودو، 1989، صفحة 181)

أدولف شترال أرجع سبب تعاطي الخمر لدى الجزائريين إلى احتكاكهم بالأجنبي كون الأجانب بالنسبة إليهم لا يشكل عائقا أخلاقيا أو دينيا و هو ما أثر في ضعاف النفوس من الجزائريين الذين تعاطونه حتى الثمالة و لكن نقول ليس كل جزائري يتعاطى النبيذ سببه الأجنبي بل هناك من يتعاطاه بدون أي احتكاك بالأخريين كما أن البعض رغم احتكاكهم بالأجانب بقوا محافظين على عاداتهم و عدم التأثير بما يفعله الآخرون سواء شرب الخمر أو غيره من الموبقات فالمسألة مسألة تربية و أخلاق و عقيدة .

03 - عادات الجزائريين في شتى مظاهر الحياة الاجتماعية الزواج:

أ - عادات الزواج :

يستعرض الرحالة الأمريكي " ماثيو كيري " ، ظاهرة الزواج لدى الجزائريين قائلا : " و نادرا ما يرى الزوج زوجته قبل الزواج (كيري، 2014، صفحة 27) ، فعندما يريد الرجل الزواج فانه يسوق عددا من الأنعام إلى الكوخ الذي يقيم فيه والذي خليلته يمتطي العروس صهوة جواد متجها إلى البيت وسط صراخ حشد من الشباب الذين تمت دعوتهم إلى حفل زفاف و عند وصول العروسة إلى كوخ حبيبها فإنه يقدم لها مزيج من الحليب و العسل لشربه و عندما يتم الاتفاق يقوم العريس بإرسال هدية من الفواكه و الحلوة للعروس و يضيف أقاربها المأدبة و موسيقى مع أغنية ملائمة تغنى بالمناسبة عندها تترجل و بيدها عصا تعززه في الأرض و تكرر بعض كلمات وثيقة الزواج التالية " بما أن هذه العصا سريع الغرز في الأرض فاني مقيدة بواجبي نحو زوجي . و أنه لا يمكن لأي حدث أن يبعده عني سوى الموت وحدها التي تحرمني من حبه" بعدها تسوق أنعامه إلى الماء و تعود ثانية لتظهر استعدادها للقيام بأي واجب قد يسند لها و بعدها يدخل الجميع الكوخ و ينتهي الحفل بحفاوة كبيرة حيث يتمتع الكل ، و بعد حفل الزواج على المرأة أن تلبس النقاب و لن تخرج من الكوخ إلا بعد مدة شهر ، و يمكن للجزائريين أن يتزوجوا بأربع زوجات حسب قانونهم و عادة ما يرضون باثنتين أو ثلاثة في الغالب. (كيري، 2014، صفحة 22 - 23 و 27)

الزواج ظاهرة اجتماعية شرعها الإسلام قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (القرآن الكريم الآية 21 سورة الروم) وضع لها أسس و أصول يجب على الناس إتباعها و إضافة لأركان الزواج المشروعة ، هناك أعراف و عادات دأب عليها الجزائريون من منطقة إلى أخرى حسب ما تعارف عليه الناس و الرحالة الأمريكي "ماثيو كيري" ينقل لنا صورة عن مراسم الزفاف من خلال ما يقدم من أكل و شرب و موسيقى و غيرها و أن الحياء و العفة من شيم الجزائريات و هو ما عبر عنه من خلال النقاب و عدم الخروج لمدة معينة و هذه كلها عادات محترمة لدى عموم الجزائريين لكنها ليست منتشرة في كامل أرجاء القطر إذ أن هناك عادات أخرى للجزائريين في مناطق متفرقة مبني ميزاب و الصحراء و الغرب الجزائري و حتى في الأوراس و غيرها من المناطق الجزائرية ، فالرحالة نقل لنا صورة لمنطقة بذاتها و لا تعكس كل المناطق مع أن هناك تشابها في الإعداد لحفل الزواج من مأكول و مشرب و موسيقى .

ب - عادات خاصة بالأكل

- **تحضير الكسكسي** : هو من أشهر الأطعمة في الجزائر مدنا و أريافا و هو الأكلة الرئيسية و أساسه دقيق القمح يفتل حبات صغيرة عادة في قصعة مصنوعة من الخشب ثم يوضع في كسكاس و يطهى بالبخار و يقدم ممزوج بالسمن أو الزبدة و حساء و بصل و فلفل و خضر و يسقى بالمرق و لا يخل من اللحم و قد تكون هذه الملحقات و غيرها قليلة أو كثيرة متنوعة حسب استطاعة المضيف و كثيرا ما يكون أيضا اللبن أو الحليب إلى جانب الكسكسي و يضاف له الزبيب أو التين و شرائح البطيخ و أنه يمكن تقديمه بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة. (شارل، 1982، صفحة 87)

لا يختلف عاقلان فيما جاء به شالر من أن الطعام يحضر بهاتهالكيفية ، لكن فاته أن الطعام أيضا يمكن تحضيره بالإضافة إلى الزبدة و اللبن هناك أيضا بزيت الزيتون و هي عادة الكثير من المناطق في الجزائر و أيضا يضاف إليه العسل في بعض المناطق من الذين يمتنون هذه المهنة أو من الميسوري الحال بدل اللبن أو الزبيب أو التين .

- تقديم الطعام :

أما عن كيفية تقديم الطعام للضيوف يقول جيمس كونكارت KnockaertJames: "أولا تجهز كل طلبات الحضور من طرف الطباخين فيقوم خادم مسيحي بوضع الصّحون الواحد تلو الآخر أمام كل ضيف و ينتظر الجميع حتى يبدأ صاحب الدار في الأكل بعد أن يضع كل واحد من الضيوف طعامه في صحنه بملقعة كبيرة ، يبدأ أكلهم بالشرية (الحساء) و يعقبه اللحم المحمر ثم السمك إن أمكن و يأتي الكسكسي الذي هو الصحن الرئيسي في الأخير و بعده تنظف المائدة ثم يوضع عليها صحن الفاكهة ، و لما ينتهي رب المنزل من الطعام و الشرب يتوقف الآخرون و يتمنى له الجميع الصحة الطيبة بقولهم: "صحة عليك" فيشكر الله ثلاث مرات ، و ينهض من مقعده حيث يقف معه جميع الضيوف و يتجهون نحو المغسل لغسل أيديهم. (كونكارت، 1982، صفحة 72 - 74)

جيمس كونكارت ينقل لنا واقع تقديم الأكل بالنسبة للأسر الميسورة الحال و هم الأشراف أو الأندلسيون أو التجار الكبار غيرهم من الطبقة الحاكمة أو ذات مكانة مرموقة في السلم الاجتماعي ، لأنه من يقرأ له يقول أن الجزائريين كلهم يعيشون حياة الرفاهية و هذا ما لا ينطبق على الواقع المعيش ، إذ أن هناك قطاع كبير من الجزائريين سيما في الريف لا يستطيعون تقديم مثل هكذا وجبات من لحم مقلي و سمك و فواكه مختلفة الألوان و الأشكال و جود الخدم مثل ما سبق التصريح به و ربما البعض منهم لا يأكل اللحم سوى في المناسبات .

تنوع المظهر الاجتماعي في الجزائر حسب نوعية و أسلوب العيش و أيضا حسب توزيع السكان ، فسكان المدن يختلفون عن الريف إذ يعتبر أهل الحضر على اختلاف مستوياتهم و تنوع طوائفهم برقة الذوق و الميل إلى الكماليات في المأكول و الملابس و الغناء تماشيا مع التقاليد المتوارثة منذ عهد الموحدين ، سيما مع الوجود الأندلسي الذي أضفى على الحياة الاجتماعية في المدينة طابع التحضر أكثر لما عرفوا به من مميزات تأثر بها الجزائريون عكس سكان الريف الذين عرفوا ببساطة المظهر و الخشونة في العيش و الاكتفاء بما هو ضروري في حياتهم (de paradis, p. 117)

ج - عادات خاصة باللباس:

تناول الغربيون الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني لباس الجزائريين الذي يعتبر من العناصر الأساسية المشكلة للعادات و التقاليد فنجدهم يصفون لباس الرجل التركي و الكرغلي و العربي و الامازيغي و اليهودي دون أن يهتموا بالمرأة و زينتها

- لباس الأتراك العثمانيون و نسائهم :

ذكر "جاك فيليب لوجبي دي تاسي" Jacques Philippe Laugier de Tassy أن لباسهم بسيط يتميز عن لباس السكان الأصليين من العرب و الأمازيغ فيصف لباس الداوي و موظفيه قمصانا شفاقة بأكمام طويلة و سراويل صوفية طويلة غير خشنة أو قطنية بيضاء (De Tassy, 1922, p. 59)

أما وليام سبنسر William Spencer فيصف اللباس التركي فيقول: "...يرتدي التركي بالجزائر البرنوس و هو ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام و قلنسوة أحيانا و يضاف ألبسة تحتية مهذبة و يلبس ذوي الاعتبار من الرجال بدعيتين أو ثلاث بدعيات مفتوحة عند الرقبة و تزركشها الأزرار و خيط الطرف و يلبسون كذلك سراويل مطرزة عريضة و فضفاضة إلى جانب شاشية حمراء و تلتئم خياطة السراويل بواسطة تطريز حريري واسع يلصق به لباسه (سبنسر، 1980، صفحة 86) و يضيف وليام شالر SchallerWilliam أيضا واصفا ملابس النساء الأتراك المتزوجات قائلا: "...يلبسن الفارملة بشكل شائع و هي اللباس ذو الحزام و المفتوح عند الصدر و مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة مع أو إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على السراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل و لما يخرجن للحياة العامة فإنهن يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات طوله يصل الركبة و يتحزمن بشاش مزركش عريض ثم تأتي سراويل عريضة و بلغ مربعة مرتفعة و فوق الكل يأتي الحايك الأبيض و يتحجبن حتى عيونهن بقطعة شفاقة بيضاء... (شالر، 1982، صفحة 89)

أما بخصوص زينة المرأة و حليها فنجده يقول إن الشعر هو ظاهرة الجمال الأساسية خاصة لما يطول، و يكون الاهتمام به عن طريق تسريحه و مشطه و تدليله و إصباغ رائحة المسك عليه و ماء الزهور ثم تجميعه و ربطه بقطعة مذهبة أو فضية، كن يتزين بالعمامة و الأطرزة المزركشة و وضع الكحل على الحواجب و إحاطة العيون بصبغ أسود و خضيب اليدين و الكفين و بواطن القدمين بالحناء (شالر، 1982، صفحة 85)

- لباس الكراغلة:

أشار وليام شالر William Schaller إلى ألبسة الكراغلة فيقول: ... مزينة بالقصب و بحواشي الذهب أو الفضة أو الحرير طبقا لغرور الشخص و نزواته و شكل العمامة و ثناياها و نوع المادة التي صنعت منه هي المقياس الذي يحكم عليه الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها و فوق جميع ملابس الكراغلي برنوسا يحمله على كتفيه و يغطي به كل جسمه (سبنسر، 1980، صفحة 90)

- لباس الحضرة و نسائهم:

يذكر "وليام شالر" William Schaller أيضا أن لباس الرجل الحضري العربي يتكون من عدة قطع بعضها بأكمام و بعضها الآخر بدون أكمام مفتوحة في الصدر و مزينة بأزهار و زخارف و سراويله فضفاضة ينزل حتى الساق و يعلق على حزامه الذي يلفه عدة مرات حول وسطه مسدسا و يضع أيضا في طياته ساعته و محفظة نقوده و يغطي رأسه بالعمامة و ينتعل بلغة و يختلف ذلك باختلاف درجاتهم المادية. (شالر، 1982، صفحة 83)

أما "وليام سبنسر" فيقول إن لباس الجزائري العربي، لباس بسيط و قميص من الكتان و سراويل على طول الرقبة مطبقة و في الشتاء يلبسون الغليظة و هي لباس طويل حتى الركبة تأتي بعدها الدرة و هي جبة طويلة جدا من القماش الرفيع و يكمل حتى الركبة هذه المجموعة البرنوس (سبنسر، 1980، صفحة 87)

أما "هينريش فون مالتسان" Heinrich von Maltzan فيصف لباسهم فيقول أنه يتألف من غليظة مصنوعة من الكتان أو النسيج و بدعيتين متشابهتين و سراويل واسعة قصيرة ثم حزام غالبا ما يظهر فخامة ثيابهم و حذاء واسع الرأس يشبه النعل (مالتسن، 1979، صفحة 137)

أما فيما يتعلق بلباس النساء، فكتب وليام شالر "William Schaller" عن لباسهم فقال أن قميصهن فهو من أرفع المواد و أفخرها و سراويلهن ينزلن حتى العقب و أثوابهن مصنوعة من الحرير أو من مادة مطرزة بالدانتيل و يعلق بشرط من الوراثة و حذاهن يلبس بدون جوارب و ترتدي المرأة الحلي الثقيلة من خواتم و أقراط ذهبية و أساور و خلاخل من الفضة و الذهب و لباس الرأس هو الصرمة أو القلنسوة المخروطية الشكل و التي تصنع من الذهب أو الفضة حسب المستوى المادي للمرأة و فوقه يلقى حجاب شفاف كثيف أو خفيف التطريز و عندما تخرج إل الشارع فإنها تغطي ثوبها بحايك أبيض يغطي جسمها كله. (شالر، 1982، صفحة 86)

أما "هينريش فون مالتسان" Heinrich von Maltzan فيصف ملابس المرأة الحضرية في الشارع فقال أنها ترتدي الحجاب على الحايك و القناع الذي يسمى العجار و هو قطعة قماش رقيقة تغطي الوجه من أسفل العينين إلى الذقن، أما لباسهن في البيت فيصعب وصفه، غير أننا نجد قد لاحظ بعض الحضريات في بيوتهن و قال أنهن يرتدين بدلة قماش مطرز بالحرير و الخيوط الذهبية و يلبسن طاقية صغيرة حمراء تدعى البنيقة فوق شعرها (مالتسن، 1979، صفحة 137)

من جهته حمدان بن عثمان خوجة أيضا يتحدث عن احتشام المرأة و تدينها فيقول: " فيوجب على المرأة أثناء خروجها من منزلها لقضاء حاجاتها وضع الحجاب فتتلحف بالحايك تغطي به جسمها كاملا ، و قد فرض هذا الحجاب على كل النساء مهما كانت جنسيتهن ، فالمرأة المسلمة تضع حايكا أبيض اللون ، و تغطي وجهها بقطعة قماش لا يظهر منها سوى العينان (خوجة، المرأة، 1975، صفحة 61) ()

، فالمرأة لا تخرج عن الإطار الديني الذي حدده الشرع الحنيف مصداقا لقوله تعالى: " قال تعالى: " و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء و لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن و توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون "

(القرآن الكريم الآية 31 سورة النور) ، و تعنتي بنفسها بتجميل وجهها، فالحوجب تكحل بعصير العفصة حتى تصير أقواسا سوداء و تصبغ أهداب العينين بالكحل (مالتسن، 1979، صفحة 57 - 58)

ويذهب لسان الدين ابن الخطيب في وصف الأندلسيات إذ كثيرا ما بقيت المرأة الأندلسية في الجزائر محافظة على مظهر تزينها و لباسها سيما و أن الكثيرات منهن حالتهم الاجتماعية ميسورة و حتى المرأة الجزائرية تأثرت بها بحكم الاحتكاك فكانت خلاصة امتزاج حضاري بالأندلس : " يتفنن في الزينة و المظاهرة بالمصبغات و التنفيس بالذهبيات و الديباجيات و التماجن في أشكال الحلي (الخطيب، 1956، صفحة 145)

- **لباس العرب** : يلبس الشيخ أو رئيس قبيلة قطنسوة *لباس للرأس و يعبر عنه بالقبعة أو القننسة و هناك ما يشبه القبعة توضع على الرأس تدعى الكوزية و هي " عبارة عن شريط عريض و طويل لدرجة أننا نستطيع أن نلف به الرأس خمس أو ستة مرات و هو ما يصطلح عنها بالعمامة ، (حنفي، 2000، صفحة 48) من القماش الفاخر و يدعى هؤلاء في الغالب بالعرب فتقاليدهم و لغتهم و دينهم تحمل صلة تامة مع سكان الجزيرة العربية فهم أقوياء و بشرتهم داكنة فالرجال فاعلون و النساء كثيرات الإنجاب و الأطفال أصحاء و هم لا يلاقون حادثة الشدة مثل الحياة المضارة في أمريكا الشمالية (كيري، 2014، صفحة 22)

- **لباس اليهود و نساءهم**:

يقول "الوجي دي تاسي tassy": "أن لباسهن لباس أسود من الرأس إلى القدمين و هو عبارة عن عباءة طويلة تصل منتصف الساقين و عمامة سوداء تلفها عصابة بلون قاتم ذات خطوط ، (De Tassy، 1922، صفحة 57) و تطرق وليام سبنسر إلى لباسهم فيقول: "...و يلبس اليهودي جبا و معطفا ذا أكمام عريضة و كذلك حزما عريضا و خناجر كبيرة جميلة في جراب على الجانب الأيسر في الشتاء يلبسون سراويل تضيق عند أدنى الركبة كما يفعلون الاسبانين، و الأحذية ملونة توضع في الرجل و تخلع دون أن تلمسها اليد و ضباطات هي عبارة عن نوعية من الأخفاف للجوانب العالية و بمثل المسلمين كانوا يلبسون دائما غطاء على الرأس.. (سبنسر، 1980، صفحة 54 - 55)

أما لباس المرأة اليهودية المسلمة فكانت تخرج إلى الشارع بدون قناع فوجهها يبقى ظاهرا قصد التمييز بينها وبين المرأة المسلمة . (De Tassy، 1922، صفحة 57)

و أخيرا يشير الرحالة الأمريكي الجنسية الايرلندي الأصل "ماتيو كيري" إلى اللباس بصفة عامة بالنسبة للرجال فيقول : فلباس الرجال* دون أن الإشارة إلى أي فئة هؤلاء الرجال هل إلى فئة الأتراك أو الكراغلة أو الحضر أو اليهود أو العرب أو الأمازيغ ما هو إلا قطعة طويلة من اللباس خشن يلف حول الكتفين و يتدنى إلى رسغ القدمين مع قطنسوة من نفس المادة و النساء يعطين قيمة أكثر لملاص الزينة ... أما الأطفال فيعانون من عراء القدمين حتى سن السابعة أو الثامنة من العمر (كيري، 2014، صفحة 22)

الجزائر في العهد العثماني كانت تقطنها فئات تتألف من جماعات و طوائف و التي تتمثل في الحضر الأندلسيين و الأتراك و العرب و الأمازيغ و اليهود و المسيحيين و البدو و الزوج و لعبت هاته الفئات أدوارا كبيرة في الحياة الاجتماعية ، و المرأة الجزائرية ظهرت بصورة جلية في الحياة الاجتماعية من خلال مظاهر اللباس و الطبخ المتأثرة بالأندلسيين و الأتراك مما انعكس إيجابا على المرأة الجزائرية

04 - أخلاق الجزائريين :

الأخلاق عنوان الشعوب وقد حثت عليها جميع الأديان، و نادى بها المصلحون، فهي أساس الحضارة ، و وسيلة للمعاملة بين الناس و عليه فالجزائريون كغيرهم من الشعوب يتحلون بأخلاق أشاد بها الرحالة الغربيون و منهم موريس فاغنر Wagner قائلا : " الجزائريون يحبون النظام و النظافة ، و يمارسون أعمالهم بجد و نشاط و بصورة منتظمة ، ولا يبدون أي تعصب ، و يقدم دليلا على عدم تعصبهم هذا فيقول أنهم أعاروه ثيابهم و أدخلوه مساجدهم و التقوا حوله ليسلموا عليه و يسألوه عن أحواله ... ليضيف في الأخير : "ولكنهم لا يرضون بالتعدي على حرمتهم و تقاليدهم الدينية " (دودو، 1975، صفحة 15 - 17)

وقد أتى شيمبر Wilhelm Shmbr وغيره من الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر في بداية الاحتلال على أخلاق الجزائريين و عاداتهم ، فشيمبر Wilhelm Shmbr الذي وصل إلى ميناء الجزائر كان أول ما لاحظته و اهتم به لرؤيته هو الأخوة التي تجلت في سلوك الحمالين مع بعضهم البعض ، وهو ما حملته على أن يقارن بينهم و بين الحمالين في أوربا ، إذ يقول عنهم أن لهم عكس ما للجزائريين من خلال حميدة ، و يصفهم بالقحة و الغدر و الكسل (دودو، 1989، صفحة 12) و تحدث شيمبر أيضا عن العميان ، فأخذ على الأوربيين أنهم يعاملونهم معاملة في

منتهى القسوة ، و قال أنه لم ير خلال العشرة أشهر التي قضاها في الجزائر ، أوربيا واحدا يقدم لهم أية مساعدة ، وعلى العكس من هذا كان موقف المواطنين منهم فقد رأهم يشفقون عليهم ويساعدونهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا (دودو، 1989، صفحة 15) و عن التكافل الأسري يثني "شيمبر" Wilhelm Shmbr على الأسرة الجزائرية و هو ما تقتقر إليه الأسرة في أوربا أن الجزائريين تسودهم السعادة الأسرية في المنزل يقول : " حين يعود الرجل إلى البيت تستقبله الزوجة و تجلسه بقربها فوق الأريكة و تحدثه و يحدثها و يسرع الأطفال إلى أبيهم فرحين فيضمهم إلى صدره في حنان و حب و يأخذ في مداعبتهم ". (دودو، 1989، صفحة 12) و يقول " كليمانس لامبينغ Clémence lampingue " : " أن بعض طبائع سكان " القليعة " و خصالهم الحميدة بدأت تزول بسبب اختلاطهم بالفرنسيين " (دودو، 1989، صفحة 193)، كما يتصف المجتمع الجزائري في مفهوم فاغندر باحترامه للحرية التي تعني عنده احترام الآخر و أنه لا تصل إلى حد أن تصبح فيه الفوضى عملا مباحا و الجريمة شيئا لا يتطلب العقاب (دودو، 1989، صفحة 115-116)

أما ما تعلق بالنساء فأغلب العادات التي يمارسها الجزائريون تستند في أساسها إلى قوانين ، و ليس فيها ما يفاجئ الأوربي كغياب النساء عن الحياة العامة و احتشامهم الشديد فلا يسرن في الأزقة بدون حجاب ، و عندما يسافرن على ظهور البغال يكن مختبئات في ستائر غريبة و مما أورده : " ... ترجاني أحد الأتراك من ذوي المكانة المتميزة أن أعالج زوجته و عندما طلبت منه أن أرى المريضة أجابني من الأفضل أن تموت على أن يراها أحد" (هابنسترايت، 2013، صفحة 47)

إنه حال المجتمع الجزائري الذي يولي أهمية كبيرة للأخلاق و العادات الحسنة مصداقا لقول الرسول (ص) " إن من أحبك إليّ و أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسانكم أخلاقاً" (حديث شريف رواه الترمذي وحسنه الألباني) و قال أيضا : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (حديث نبوي صححه الألباني)

إن التحلي بالأخلاق الحسنة، والبعد عن أفعال الشر والآثام، يؤديان بالمسلم إلى تحقيق الكثير من الأهداف النبيلة منها سعادة النفس ورضاء الضمير وأنها ترفع من شأن صاحبها وتشبع الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم وهي طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة و هذا ما دأب عليه الجزائريون من أفعال خيرة و لا أدل على ذلك من شهادات الأجانب من التكافل الاجتماعي و التضامن و النظام و الانضباط و النظافة و الحياء و الحشمة والرحمة و الشفقة و غيرها من مظاهر أخلاقية ، غير أنه لا يمكن أن نعم ذلك على الجميع فهناك دائما فئة قد تكون شاذة و لا ينطبق عليها هذا الحكم و هذه طبيعة البشر .

- ظاهرة العمل لدى الجزائريين :

نفى " شيمبر " صفة الكسل عن الجزائريين ، فقال أن الخمول لم يتسلط بعد على طبيعتهم (دودو، 1975، صفحة 15)، أما ماثيو كاري ، فله رأي آخر بالنسبة للعمل إذ يقول : " يقضي الرجال و النساء في الجزائر الجزء الأكبر من وقتهم في الكسل فالرجال يشربون القهوة و يدخنون و النساء في إعداد الطعام و الاستحمام و زيارة قبور أهاليهم و التنزه في الحدائق (كيري، 2014، صفحة 27)

كل من شيمبر و كيري لهما الحق في ذلك إذ أن شيمبر وصف جزء من المجتمع أنه عملي و نشيط و بعيد عن الكسل و هذا موجود على مر الأزمنة و أيضا كيري على النقيض من ذلك فمنهم من يقضي أوقاته في شرب القهوة و هذا موجود حتى يومنا هذا و كأن كيري ما يزال موجود بيننا و بالغ كثيرا في وصفه للنساء أنهن يهتمن بتحضير الطعام و الحمام و زيارة القبور هي ظاهرة ليست عامة بل محدودة جدا

- ارتياد المقاهي:

ما ميز الحياة الاجتماعية بمدينة الجزائر العثمانية و غيرها من مدن البلاد ارتياد سكانها المقاهي، التي اعتبرت مكانا يلتقي فيه المعارف لشرب القهوة و التمتع بنغمات الموسيقى الأندلسية و عرائس القراقوز في كثير من الأحيان، و بالتالي الترفيه عن النفس و صد السأم.

و ذكر "موريتيسفاغنز" Maurice waner في أوائل الاحتلال الفرنسي أن المقاهي العربية بالمدينة من الأماكن التي تتيح للأجنبي أن يتعرف على الجزائريين و يتعلم تعابيرهم الشعبية و قد يرتادها كثيرا الحضر و الأتراك و كلهم يجدون في المقهى ملاذهم للحديث الممتع، إلى جانب العناصر الزنجية و العناصر البرانية و حتى سكان الفحوص

من أهل الريف و يقدم النادل، و هم من أبناء الحضر الذين لا يتجاوز أعمارهم السادسة عشر بلباسهم النظيفة لهؤلاء الزوار القهوة في فناجين خزفية فوق صحون من الصفيح و يوضع فيها مسحوق من السكر و عادة ما يدخن الجزائري و يشرب القهوة. (هابنسترايت، 2013، صفحة 47)

و يظهر أن العادة قد استمرت في العهد الفرنسي فيما يخص عزف مقاطع موسيقية في المقاهي الكبيرة من طرف فرق جوق موسيقى تستعمل الناي و القيتار و الرباب و غيرها و عادة ما تكون الموسيقى هادئة و رتيبة يتجاوب معها مزاج رواد المقاهي. (دودو، 1989، صفحة 120 - 121)، إلا أن "موريتس فاغر Maurice waner" فيذكر أن بعض المقاهي في مدينة الجزائر قد تحولت إلى بؤر للفساد و الانحراف الأخلاقي، إذ تجتمع فيها حثالات *معنى الحثالة لغة: هو الرديء من الشيء و يقصد هنا المنحرفون أخلاقيا البشر من كل جنس و دين، فكان فيهم المسلم و اليهودي و الأوربي و الإفريقي، فتختلط أصوات السكران رجالا و نساء بأصوات الآلات الموسيقية بشكل غريب (دودو، 1975، صفحة 83) و يشاطر موريتس فاغر Maurice waner الرحالة شيمبر Wilhelm Shmbr أن المقاهي موجودة بكثرة و يبقى فيها الجزائريون إلى الثالثة صباحا يدخنون و يشربون القهوة و منهم من يحبذ سماع الموسيقى (دودو، 1975، صفحة 15)

ظاهرة تواجد الجزائريين في المقاهي و إلى وقت متأخر ليست وليدة الفترة العثمانية، فالجزائريون كغيرهم من الشعوب خاصة العالم المتخلف يمضون أكثر وقتهم في المقاهي إلى درجة أنك تعتقد أنها مأواهم و لا هم لهم سوى ذلك، فالمقاهي يرتادها الجميع على مختلف الفئات الاجتماعية و المكانة أيضا و لكن ليس العيب في ارتياد المقاهي و إنما البعض جعلها على حساب أعماله و شؤونه الخاصة مما دفع بهم في بعض الأحيان إلى التحول إلى الانحراف الأخلاقي من المراهنة و الشتم و تبادل الشتائم و غيرها من الشجارات نتيجة لعبة القمار و غيرها من أنواع المراهانات خاصة بداية الاحتلال و أثناءه أين دخل العنصر الأجنبي و اختلطت الفئات الاجتماعية على اختلاف لغاتهم و أفكارهم، لكن حتى تكون منصفين ليست كل المقاهي هكذا أو الذين يرتادونها أيضا فمنهم من يستعملها وسيلة فقط للاتقاء الأصدقاء و تبادل أطراف الحديث لمدة معينة ثم يذهبون لأداء مشاغلهم اليومية.

من خلال ما سبق نخلص إلى ما يلي :

- اهتمام الرحالين الغربيين بالجزائر في الفترة العثمانية و بداية الاحتلال لما تتميز به البلاد من موقع استراتيجي و تنوع مناخها و تعدد ثرواتها و تعد بوابة إفريقيا بالإضافة إلى كونها أيضا كانت قوة بحرية في أغلب الفترات مما جعلهم يهتمون بها أكثر من غيرها .

- تنوع التركيبة الاجتماعية للجزائر في العهد العثماني نتج عنها تعدد في العادات و التقاليد و الأعراف المختلفة مما دفع بهؤلاء إلى الاهتمام بهذه الجوانب الاجتماعية سيما ما تعلق بالزواج و اللباس و الاكل و غيرها لأنها أثارت اهتمامهم تختلف عن عادات الأوربيين .

- إشداتهم بأخلاق الجزائريين من نظافة و تنظيم و تضامن و تكافل اجتماعي و مدى تدينهم و ارتباطهم بالدين الإسلامي من خلال نقل ما يقوم الجزائريون في رمضان و أيام الأعياد (الفطر و الأضحى) كذا بالعادات الخاصة بإعداد الطعام و طريقة تقديمه و غيرها

- مستوى الوعي السياسي و الثقافي الذي يتمتع به هؤلاء حتى الأسرى منهم بحيث يستغلون كل الظروف لتدوين و تسجيل كل ما شاهدوه أو سمعوا عنه من باب تبليغها للأوربيين قبل غيرهم ممن الجزائريين

- اعترافهم بفساد أخلاق بعض الجزائريين من شرب للخمر و انحراف عن القيم الأخلاقية لما احتكوا بالأوربيين أثناء فترة الاحتلال بشكل خاص .

- المرأة الجزائرية كان لها نصيب من كتابات الأوربيين من خلال وصفهم لها بالحياء و اللباس المحتشم و أدوات الزينة التي ترتديها كغيرهن من النساء و هذا دليل على تحضرها

- هناك مبالغة أحيانا في الوصف أو الحديث عن مجموعة بذاتها أو طائفة بذاتها و كأنها تمثل عموم المجتمع الجزائري .-

- هذه الكتابات تدخل في إطار أدب الرحلة و تعتبر مصادر تاريخية يستفيد منها دارس التاريخ بشكل خاص و المهمتم بالتاريخ الجزائري بشكل عام .

- ما يسجل أيضا مظاهر البذخ و التذبير لدى بعض الحكام الجزائريين أثناء إحيائهم للمناسبات و خير مثال عن ذلك ما قام الادي مصطفى باشا في ختان إبنيه في الوقت الذي كان السواد الأعظم من الجزائريين يعيشون الفقر و الحاجة .

Bibliographie

de paradis, v. (s.d.). alger au XVIIIe, siecle. *Revue africaine*. , 39.

De Tassy, L. (1922). *Histoire du royaume d'alger 1724*. paris: loysel.

الخطيب, ل. ا. (1956). *الاحاطة في أخبار غرناطة* (Vol. 1) (مصر): د د ن.

الزهار, ا. ا. (1980). *منكرات 1754-1830 الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع*.

بوطاجين, ا. (2013). *هانريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا مجلة: الموروث*. (02)

حنفي, ع. (2000). *لباس البدن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني. حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة*. (9)

خوجة, ح. ب. (1975). *المرأة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع*.

خوجة, ح. ب. (2006). *المرأة*. (1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

دودو, أ. ا. (1975).

دودو, أ. ا. (1989).

سبنسر, و. (1980). *الجزائر في عهد رياس البحر*. ع. ا. زبادية (Trad.). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

سبوعي, ا. (2019). *ادب الرحلة الاوربية كمصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني* (رحلة العالم الالمانى هابنسترايت انموذجا). *عصور الجديدة*. (03) 09,

شالر, و. (1982). *منكرات قنصل امريكا في الجزائر 1816-1824*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

كونكارت, ج. (1982). *منكرات أسير الادي كونكارت قنصل امريكا في المغرب*. ا. ا. العربي (Trad.). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

كيري, م. (2014). *مختصر في تاريخ الجزائر*. ع. تابليت (Trad.). الجزائر: طبعة خاصة محفوظة بوزارة المجاهدين.

مالتسن, ه. ف. (1979). *ثلاث سنوات في شمالي غربي افريقيا*. ا. ا. دودو (Trad.). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

هابنسترايت (2013). رحلة العالم الالمانى إلى الجزائر و تونس و طرابلس 1732م). ن. ا. سعيدوني (Trad.), الجزائر: دار الغرب الاسلامي.